(٦)

بقلم الشيخ/ عبد اللطيف محمد بدر - الداعية بمركز الدعوة والإرشاد بأم القوين

قال الله تعالى : ﴿يأيُّها الَّذين آمنوا اتَّقوا الله وذَروا مابقيَ منَ الرِّبا إنْ كُنْتُم مُؤمِنين. . . . ﴾. الآيات ٢٧٨ - ٢٨١ - من سورة البقرة.

❊❊❊

﴿يأيُّها الَّذين آمنوا اتَّقوا الله وذَروا ما بقيَ منَ الرِّبا إنْ كُنْتُم مُؤمِنين﴾

❊❊❊

فى هذه الآية الكريمة يأمر الله عباده المؤمنين، ويناديهم بوصف الإيمان فيهم ليستثيرهم إلى الاستجابة لأمره لأن المؤمنين هم الذين يستجيبون لله وللرسول ﷺ، يأمرهم الله تعالى بتقواه والخوف منه ومن عقابه، وأن يتركوا مابقى لهم عند الناس من الزيادة على رؤوس أموالهم التى استدانوها منهم بسبب تعاملهم معهم بالربا إن كانوا مؤمنين، لأن مقتضى إيمانهم بالله عز وجل أن يقبلوا حكمه ويرضوا بتشريعه، ويطبقوه فى حياتهم ويضبطوا به معاملاتهم وأخذهم وعطائهم وإلا كانوا غير صادقين فى دعواهم الإيمان بالله ﴿إنَّما كان قولَ المُؤْمنين إذَا دُعوا إلى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيحْكُم بَيْنَهم أَنْ يَقُولوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا وأولَئِكَ همُ المفلِحُون﴾ النور (٥١).

* والله سبحانه وتعالى يأمرهم بأن يتركوا مابقى من الربا وأما ماسلف قبل تحريمه فقد عفا الله تعالى عنه فإن الله سبحانه وتعالى من رحمته بعباده لم يجعل تحريم الربا بأثر رجعى فيأمر كل من تعامل بالربا قبل الحكم بتحريمه أن يرد ما أخذه من المدينين عن هذا الطريق، وإلا أحدث هذا التشريع بأثره الرجعي هزة اقتصادية واجتماعية تقلب موازين الناس وأوضاعهم رأساً على عقب، فإن العدل يقتضى أنه لاحكم بدون تشريع ﴿ومَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوم يُوقِنُوْن﴾ المائدة (٥٠).

***

* ﴿فإنْ لم تَفعْلوا فَأْذنوا بحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِه وَإنْ تُبْتُم فَلَكُمْ رُءوسُ أَمْوالِكُم لاتَظْلِمُوْن ولا تُظلَموُنَ﴾.

بعد أن أمر الله المؤمنين بأن يتقوه ويتركوا مابقى لهم من الربا بعد أن حرَّمه، يأتى هذا التهديد الشديد الوعيد الأكيد للذين لم يستجيبوا لندائه ولم ينفذوا أمره ﴿فَإن لَّم تفعلوا فَأْذَنُوا بحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِه﴾ ومن يقوى على حرب الله ورسوله من البشر؟ من يستطيع أن يقف أمام قوة الله الجبارة التى لايعجزها شيء؟ ولقد أمر رسولُ الله ﷺ بعد نزول هذه الآيات بأن يوضع كلُّ ربا فى الجاهلية وأول ماوضَع رباعمه العباس ولم يأمرهم برد ماأخذوه سابقاً وإنما يأخذون رءوس أموالهم الباقية لهم على الدائنين من غير غبن ولاظلم، وإلا فقد أُذن له أن يحارب من يأبي الخضوع لحكم الله، ولم يرض بشرع الله، حتى يكون الدينُ كلُّه لله.

* ذكر ابن كثير فى تفسيره أن هذا السياق نزل فى بنى عمرو بن عمير من

ثقيف وبنى المغيرة من بنى مخزوم كان بينهم ربا فى الجاهلية، فلما جاء الإسلام ودخلوا فيه طلبت ثقيف أن تأخذه فتشاوروا وقالت بنو المغيرة: لانؤدى الربا فى الإسلام بكسب الإسلام، فكتب فى ذلك ـ عتاب بن أسيد ـ نائب مكة إلى رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية فكتب بها رسول الله ﷺ إليه: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وذَرُوا مَابَقِيَ مِنَ الرِّبا... الخ**﴾ فقالوا: نتوب إلى الله ونذر مابقى من الربا فتركوه كلُّهم.

ثم قال: وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ) فمن كان مقيمًا على الربا لاينزع عنه كان حقاً على إمام المسلمين أن يَسْتَتيبه فإن نزع والإ ضرب عنقه. وقال قتادة: أوعدهم الله بالقتل كما يسمعون وجعلهم بهرجا ـ **أى دماءهم** مهدورة ـ أين ماأتوا، فإياكم ومخالطة هذه البيوع من الربا، فإن الله قد أوسع الحلال وأطابه فلا يُلجئنكم إلى معصيته فاقة. اهـ.

* وإلى جانب الحرب بالقتل لمن لم يخضع لحكم الله تعالى ويرضى بتشريعه، فهناك حرب معنوية أشد ضراوة وأعظم فتكا من القتل يقول فيها الشهيد سيد قطب رحمه الله فى ظلال القرآن: على أن الإيذان بالحرب من الله ورسوله أعم من القتال.. بالسيف والمدفع من الإمام. فهذه الحرب معلنة ـ كما قال أصدق القائلين ـ على كل مجتمع يجعل الربا قاعدة نظامه الاقتصادى والاجتماعى. هذه الحرب معلنة على السعادة والطمأنينة.... حرب يسلط الله فيها بعض العصاة لنظامه ومنهجه على بعض. حرب المطاردة والمشاكسة، حرب الغبن والظلم. حرب القلق والخوف...

وأخيراً حرب السلاح بين الأمم والجيوش والدول، الحرب الساحقة الماحقة التى تقوم وتنشأ من جراء النظام الربوى المقيت. . اهـ.

***

* لذلك شدد رسول الله ﷺ فى النهى عن الربا وجعله من السبع الْمُوبقَاتِ فقد روي البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: (اجْتَنبُوا السَّبْعَ المؤبقات ـ أى المهلكات ـ قالوا: ومَاهُنَّ يارَسُولَ الله؟ قال: الشِّرْكُ بالله. والسِّحْرُ، وَقتْلُ النَّفْس الَّتى حَرَّم اللهُ إلَّا بَالْحَقِّ، وَأكْلُ الرِّبَا، وأكْلُ مَال الْيتيم، والتَّوَلِّى يومَ الزَّحْفِ، وَقذْفُ الْمُحْصَنَات الْغَافلاَتِ المؤمِنَاتِ﴾.

ولايقتصر أثم الربا على آكله فحسب، بل يشترك فيه موكله والكاتب الذى يكتب عقده ومن يشهد عليه فقد روى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال: (لَعَنَ اللهُ آكلَ الرِّبا ومُوكِلَه وشَاهِدَيْه وَكاتِبَه).

وروى الدار قطنى أن النبى ﷺ قال: (الدِّرْهَمُ ربًا أشدُّ عِندَ اللهِ تَعَالَى مِنْ سِتٍّ وَثَلاَثين زَنْيَةً فى الخَطِيئة).

* فعلى كل مسلم ابتلى بهذا الإثم الربوى أن يبادر بالتوبة إلى الله تعالى منه وأن يطهر ماله من هذا الوباء الماحق إن عاجلاً أو آجلاً: كما قال الله تعالى وقوله حق وصدق: ﴿**يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِى الصَّدقَاتِ واللهُ لَايُحِبُّ كلَّ كَفَّارٍ أثِيم**﴾ البقرة (٢٦٧).

* والتوبة من هذا الإثم الكبير لمن ارتكبه قبل التنزيل تكون بأخذ رأس المال الباقى على المدينين دون زيادة عليه والزيادة التى أخذت قبل ذلك عفى الله عنها، لأنه لامؤاخذة بدون تشريع ولاحكم بغير قانون. كما قال

تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّم الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّه فَانْتَهى فَلَهُ ماسَلَف وأمْرُه إِلَى اللهِ﴾ البقرة (٢٧٥)

* وأما التوبة لمن ارتكب هذا الإثم بعد التنزيل فإنما تكون بالإقلاع عن هذه المعصية، والندم على فعلها، والعزم على أن لايعود إليها، وأن يرد الأموال التى أُخذت زيادة عن رأس المال لأصحابها إن كانوا أفراداً، وأن يتطهر منها، بإعطائها إلى جهات أو أفراد مستحقين للمساعدة، إن كان أصحاب هذه الزيادة بنوكاً أو مؤسسات ربوية.. ولايردها لهذه البنوك وهذه المؤسسات فإن هذا تقوية وتدعيم لها والله تعالى يقول: ﴿ولاتَعَاونُوا عَلَى الإثْمِ والْعُدوَانِ﴾ المائدة(٢).

*** والفرق بينهما ظاهر، فالأول ارتكب قبل التحريم وهو من أعمال الجاهلية التى عفى الله عنها وغفرها لأصحابها بإسلامهم، والثانى ارتُكب بعد التحريم فهو ظلم لمن أُخذ منهم ويجب التحلل منه فى الدنيا قبل الآخرة وقبل أن لايكون درهم ولادينار فقد روى البخارى أن النبي ﷺ قال: (مَنْ كانتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ، مِنْ عِرْضِه أوْ مِنْ شَىء فلْيَتَحلَّلْه مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لاَيَكُونَ دِينَارٌ ولاَ دِرْهَمٌ، إنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْر مَظْلَمَتهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِه فَحُمِلَ عَلَيْه).**

***

*** ﴿وإنْ كانَ ذو عُسْرةٍ فَنَظِرة إلى مَيْسرةٍ وأنْ تَصدَّقوا خيْرٌلكم إنْ كُنْتُم تَعْلَمُون﴾.**

* يُحبب الله سبحانه وتعالى للدائن أن يُنْظِر المدَين إن كان معسرا حتى يتيسر له قضاء ماعليه من الدين، وهذا بخلاف ماكان عليه الجاهلية حيث

كان أحدهم يقول لمدينه إذا حل عليه الدين: إما أن تقضى وإما أن تربى أى تزيد، وهو مايعمد إليه كثير من الدائنين الذين يُحلون الربا بعد أن حرمه الله.

* بل إن الله سبحانه وتعالى يُحببه أكثر إلى أن يتصدق على المدين المعسر، فيضع عنه دينه كله أو بعضه فإن ذلك خير له وأعظم أجرا.

وقد جاء فى السنة مايرغب فى ذلك ويدعو إليه فقد روى الطبراني أن رسول الله ﷺ: قال: (مَنْ سَرَّه أن يُظِلَّه الله يومَ لاظِلَّ إلاَّ ظِلُّه، فلْيُيَسر عَلَى مُعْسِرٍ أو لِيَضَعْ عَنْهُ).

وروى البخارى أن النبى ﷺ قال: (كان تاجرٌ يُداينُ الناسَ، فَإذَا رَأَى مُعْسِراً قال لِفِتْيانِه: تَجاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ اللهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا فتَجَاوَزَ اللهُ عَنْه).

* وهذا ولاشك من سماحة الإسلام ورحمته التى يطبع بها أهله ويعودهم إياها حتى يكونوا فيما بينهم رحماء، . فالمعسر يجب أن لايطارد وأن لايضيق عليه وإنما يُنظر أو يؤجل حتى يوسر، وإن لم يتصدق عليه الدائن بدينه فإن الله جعل له حقًّا فى الزكاة التى تؤخذ من أغنياء المسلمين وتعطى لفقرائهم. يعطى من سهم الغارمين ومنهم أصحاب الديون الذين لم يستدينوا لمعصية أو إثم وإنما استدانوا لما أحل الله النفقة فيه، إن الله بعباده رءوف رحيم.

***

* ﴿واتَّقوا يَوْمًا تُرجَعون فيهِ إلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كلُّ نَفْسٍ ماكَسَبَتْ وَهُمْ لايُظْلَمون﴾.

* والله سبحانه وتعالى يأمر عباده المؤمنين هنا بأن يتذكروا اليوم الذى

يرجعون فيه إلى ربهم فيجازيهم بما عملوا ويوفى كل نفس جزاء ماكسبت فى هذه الدنيا من خير أو شر ولايظلم ربك أحداً (**فَمن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خيرا يَرهُ ومن يَعْمَل مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرا يرَهُ**﴾ الزلزله(٨).

ويأمرهم أن يتقوا مايكون فى هذا اليوم من أهوال وشدائد بامتثال أمر الله والانقياد لحكمه والأخذ بتشريعاته. والتقوى هي العاصم للإنسان من الزلل والخافظ له من الغفلة والنسيان ﴿**يَاأَيُّها الَّذِين آمَنوا إنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيم**﴾ الأنفال (٢٩).

* قال ابن كثير رحمه الله فى تفسيره : وقد روى أن هذه الآية آخر آية نزلت من القرآن العظيم، فقال سعيد بن جبير: آخر مانزل من القرآن كله : ﴿**وَاتَّقُوا يَوْما تُرْجَعُونَ فِيهِ إلَى اللهِ. . . الآية**﴾ وعاش النبى ﷺ بعد نزول هذه الآية تسع ليال ثم مات يوم الإثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول . اهـ.

فطوبى لعبد اتقى الله، واتقى يوماً يرجع فيه إلى الله، وعمل عملا صالحاً يرضاه، إنه حينئذ يكون من الفائزين يوم الدين يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

خطر عدم الحج على المستطيع

عن على رضى الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: «مَن مَلك زاداً وراحلةً تُبلغهُ إلى بيتِ الله الحرام ولم يحجَّ فعليهِ أن يموتَ يهودياً أو نصرانياًوذلك أنَّ الله تعالى يقول ولله عَلى النَّاسِ حِجُّ البَيتِ مَن استطَاع إليه سَبيلاً». الآية.

أخرجه الترمذي